Journal of Arabic
Language and Literature
Volume (1), Issue (3): 30 Jun 2022
P: 49 - 72

ISSN: 2790-7317

مجلة اللغة العربية وآدابها
المجلد (1)، العدد (3): 30 يونيو 2022 م
ص: 49 - 72

Image of the Civil war in Lebanon Homless Novel for Jobor Al Doweihi

Ahlam Mazen Bakri

Humanities Faculty || An-Najah National University || Palestine

Abstract: The research highlighted on the image of the civil war in Lebanon, through Jabour Douaihy's novel (Homelessness), so he examined it in an objective study that showed the image of the civil war in Lebanon, to present a picture of Lebanon before and during the outbreak of the war, and a structural study to look at the harmony of the artistic construction represented by different narratives techniques such as characters, time, place, narrator, and thematic construction.

Keywords: civil war, homelessness, war.

صورة الحرب الأهلية في لبنان رواية (شريد المنازل) لجبور الدويهي نموذجاً

أحلام مازن بكري

كلية الآداب || جامعة النجاح الوطنية || فلسطين

المستخلص: سلط البحث الضوء على صورة الحرب الأهلية في لبنان، من خلال رواية (شريد المنازل) لجبور الدويهي، فدرسها دراسة موضوعية بينت صورة الحرب الأهلية في لبنان، حيث قدم صورة للبنان قبل اندلاع الحرب وأثناءها، ودراسة بنيوية للنظر في مدى انسجام البناء الفني المتمثل بتقنيات السرد المختلفة: كالشخصيات والزمان والمكان والراوي، والبناء الموضوعي.

الكلمات المفتاحية: الحرب الأهلية، شريد المنازل، الحرب.

المقدمة.

الحرب ظاهرة اجتماعية تتصارع فيها قوتان أو أكثر كل قوة تريد ملء إرادتها على حساب القوة الأخرى؛ لأنها ترى نفسها صاحبة الحق والسيادة في فرض القوة على الآخر، وعلى مر العصور منذ قابيل وهابيل، والعنف يزداد يوما بعد آخر، وسلسلة الحروب بأنواعها دولية أم أهلية تزداد بين الأقوام البشرية.

والحرب من أشد التجارب البشرية وطأة على الإنسان وأكثرها شراسة وتناقضا ودرامية، بل هي أغنى الأحداث وأوسعها تدميرا لكل ما له قيمة إنسانية، وجدت مع وجود الإنسان على الأرض ولا يمكن أن تتوقف، " طالما أن الشعوب تعيش في ظروف متباينة أشد التباين... وطالما أن حياة الأفراد لها وزنها المختلف في كل أمة" (فرويد، 1977، ص10)

تكاد تكون الحرب اللغة السائدة في هذا الزمن، وهي اللوحة الأكثر بروزا في الحياة ربما؛ لأن الطبيعة البشرية تميل إلى الحروب في وقت النكوص، فضلا عن إحساس البشر بأن حل المشكلات لا يتم إلا بالحرب أو بفرض الإرادات بالقوة لسحق الآخر ومحوه.

وقد شكلت الحرب بقسوتها وآلامها مصدر إلهام فنشأ منها أدب الحروب، الذي اعتُبر انتصارًا وانحيازًا للإنسانية، ويعرض بين سطوره أدق تفاصيل أبطاله الذين تأثروا بظروف نزاعات كانوا ضحاياها.

والرواية تعد من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على التعبير عن موضوع الحرب، لما تمتاز به من بنية ثقافية متفتحة اكتسبتها من خصائصها الفنية، فاتساع مساحة السرد فيها وامتدادها الزماني والمكاني يوفران لها إمكانية استيعاب الظاهرة والتعبير عنها، فكانت الحرب بؤرة سردية مركزية لكثير من الأعمال الروائية.

وقد سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على موضوع الحرب الأهلية في لبنان لما لها من أثر بارز في حياة الشعب، كما أنها شكلت أحد أبرز الموضوعات في الرواية العربية، فاتخذت الباحثة رواية (شريد المنازل) نموذجا للدراسة، واعتمدت خطة مكونة من مبحثين: تناولت في المبحث الأول صورة الحرب الأهلية و، وفي المبحث الثاني تناولت انسجام البناء الفني والبناء الموضوعي في الرواية، متبعة المنهج الاجتماعي والمنهج البنيوي للنص السردي.

مشكلة الدراسة:

يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1- كيف استطاعت بنية الرواية أن تصور الحرب الأهلية في لبنان؟
2- ما مدى الانسجام بين البناء الفني للسرد والبناء الموضوعي؟

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة:

1- أن يكون للموضوع الذي تدور حوله الرواية أثر في اختيار تقنيات السرد.
2- أن الرواية غالبا ما تكون انعكاسا للمجتمع من نواحي مختلفة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذا البحث من كونه:

- يدرس تقنيات السرد في الرواية ومدى انسجامها مع الموضوع المختار.
- أن الأدب بصورة عامة والرواية بصورة خاصة يقدمان صورة حية للمجتمعات المختلفة، وقد تم تسليط الضوء في هذا البحث على جانب الحرب وتقديم صورة للمجتمع اللبناني أثناء الحرب من خلال الرواية المختارة (شريد المنازل).

منهجية الدراسة.

أ- منهجية التحليل: اعتمدت الباحثة المنهجين الاجتماعي والبنيوي للنص السردي.
ب- مصادر البيانات: اعتمدت الباحثة الكتب الخاصة بالسرد (العربية والمترجمة).
ج- حدود الدراسة: رواية (شريد المنازل) ل (جبور الدويهي)

هيكلة الدراسة:

اعتمدت الباحثة خطة مكونة من مبحثين: تناولت في المبحث الأول صورة الحرب الأهلية في المجتمع اللبناني، وفي المبحث الثاني تناولت انسجام البناء الفني والبناء الموضوعي في الرواية.

المبحث الأول- صورة الحرب الاهلية في لبنان.

تمهيد:

ترصد الرواية (شريد المنازل) عبر سردية مطولة ومتشابكة صورة المجتمع اللبناني قبل الحرب وأثناءها، من خلال تتبع خطوات (نظام) الذي تخلت عنه أسرته المسلمة لينتقل للعيش مع أسرة مسيحية في (حورا)، القرية الصغيرة الرابضة في الشمال، ملاذ الكثيرين من راغبي الاصطياف والفرار من جحيم العيش في فوضى المدينة وحرارتها، حيث تدور أحداثها على النحو الآتي:

عاش (نظام) متنقلا بين والدين بيولوجيين مسلمين انشغلا بمشاكلهما، ووالدين مسيحيين بالتبني أحباه وربياه وقدما كل ما يستطيعان له من حب واهتمام ومال. أسرته المسلمة مكونة من شقيقته (ميسلون) التي اعتادت رعايته، وأدركت رغباته دون أن يتفوه بها، غضبت منه حين قرر البقاء لدى العائلة الأخرى، ولكنها فيما بعد استسلمت، وعاشت حياة قلقة مع عائلتها التي هربت الى حمص ثم هربت منهم الى عماتها في لبنان، كي لا تتزوج من رجل لا تحبه، لتتزوج فيما بعد وتسكن بيروت، وشقيقين توأمين (خالد وبلال) كانا أحد أسباب انشغال الأم (صباح) عن ابنها (نظام).

من (حورا) ضيعة لبنانية في الجبل، ينتقل (نظام) الى أحضان بيروت، ليواجه الحياة منفرداً، ويتعرف إلى عدد من الشباب والبنات ويدخل في علاقات حميمة متعددة، إلى أن يلتقي بفتاة أحبها (جنان سالم) فنانة تشكيلية لكنها تعاني الوحدة والاكتئاب ومحاولاًت عدة للانتحار.

تتشعب حياة هذا الشاب فيهمل دراسته الجامعية، والتي لم تكن سوى حجة للابتعاد عن دائرة الاهتمام الشديد، ورغبة في البحث عن هوية واستقلالية، الهوية التي كانت تخلو من خانة الديانة فيما يعلق في رقبته سلسلة ذهبية فيها آية الكرسي أهدتها له عمته خوفا من تنصره بعد أن استقر لدى الزوجين توما ورخيمة، وسلسلة أخرى لرمز مسيحي ألبسته إياها رخيمة أمه الثانية حين تنصَّر أو ادعى ذلك إرضاءً لها كي تسمح له بالذهاب إلى بيروت والإقامة فيها، بينما واقع الحال أنه كان تائهاً عقائدياً، أو لا مبالياً في صورة أخرى، هذه السلسة تمكنت من إنقاذه حين علق في حاجز لمسلحين مسيحيين، فيما لم تنقذه آية الكرسي التي كان يرتديها من الموت على أيدي مليشيا مسلمة، بينما هويته المزورة كانت تحمل اسما مسيحيا بعد ضياع الهوية الأصلية الخالية من الديانة.

(نظام) بطل الرواية يتحول من طفل جميل يعيش بهدوء ومحبة، إلى ضحية تعبث به الأقدار، وتفرقه عن عائلته التي واجهت المصاعب المادية والاجتماعية والسياسية، وتنسى أو تتناسى رعاية هذا الطفل، وتتركه لعائلة مسيحية هما الزوجان (توما ورخيمة)، اللذان لم ينجبا فوجدا (نظام) الطفل هبة من الخالق، منحاه الحب والرعاية بطريقتهما الخاصة، ولكنه ضاع منهم في حواري بيروت وشوارعها وصخبها وحربها.

أولاً- لبنان قبل الحرب الأهلية:

قدَّم المؤلف صورة واقعية حيّة للبنان قبل وقوع الحرب الأهلية في الفصلين الأول والثاني من خلال مزجه البانورامي للأحداث الذي يخفض وتيرة السرد فيجر القارئ في قوة إلى قلب الحدث، فيصف التعقيد المرتبط بالنسيج الطائفي للمجتمع اللبناني، والتعايش الذي يبدو قلقا وغير مستقر أحيانا لكنه تعايش تحقق وتواجد على أرض الواقع.

1- التعايش بين الأديان المختلفة:

أظهر المؤلف هذا التعايش بين الطوائف والأديان المختلفة من خلال العلاقة بين أسرة (توما ورخيمة) المسيحية، وأسرة (آل العلمي) المسلمة، فالعلاقة تقوم على الثقة المتبادلة بين الأسرتين ويظهر ذلك من خلال مواقف

عدة في الرواية ومن هذه المواقف الحوار الذي دار بين صباح وجاراتها أثناء زيارتهن لها " تخبرهن أمه وهي تقدم لهن الكنافة بالجبن، كم أن الجيران محبّون ولطفاء داعية " رب العالمين أن يطعمهما أولاًدا ويطعم الناس كلهم" وأن ذهاب (نظام) إلى البستان المجاور أفضل حل لإراحة بالها من عشرة السوء." (الدويهي، 2012، ص31)

كما أن الزيارات المتبادلة بين الأسرتين صوَّرت شكل العلاقات بين المسلمين والمسيحيين " اقترح توما على رخيمة زيارة آل العلمي في بيتهم عند مدخل الميناء، فهم غادروا المنزل وأبقوا المفتاح معهم ما يشير إلى أنهم لا بد عائدون لتمضية الصيف القادم فيه. " (الدويهي، 2012، ص34)

كما يبين أن المسلم والمسيحي يتوحدان تحت الراية اللبنانية، فالمدرب العسكري يجيب بعد أن علم بديانة (نظام) " مسلم أم مسيحي لا فرق، نحن جميعا لبنانيون" (الدويهي، 2012، ص69)

لكن الأديان في لبنان لا تقتصر على الإسلام والمسيحية مع أنهما الأكثرية وقد ظهرت بقية الأديان في مواضع متفرقة في الرواية من خلال بعض الشخصيات الثانوية، وأكثر تمثيل لهذه الأديان خلية فرج الله الحلو التي تضم أديانا وجنسيات مختلفة: كالمسلم والمسيحي والدرزي واليهودي والأمريكي والعراقي واللبناني والفلسطيني، أديان وجنسيات مختلفة جمعتها خلية واحدة تعمل على رفع الظلم عن الفقراء باختلاف أديانهم وجنسياتهم، ولا يعيرون اهتماما للاسم والجنسية والدين حتى أنهم يخفون ذلك عن بعضهم البعض ويستعملون أسماء حركية مستعارة إلى أن جاء اليوم الذي باغتهم فيه رجل الأمن خلال اجتماعهم في شقة (نظام) وأعلن عن أسمائهم الحقيقية " ثم راح يقرأ الأسماء عاليا قبل أن يرد الهويات، وهو يصرخ الأسماء كأنه كاتب في المحكمة. وكان حشريا له على كل اسم تعليق.

- ما المكتوب على هويتك أنت في خانة الدين؟
- درزي." (الدويهي، 2012، ص131-132)

وتؤكد يسرى مكتبي على عدم أهمية الديانة بقولها للرقيب عند سؤال (نظام) عن دينه" تدخلت يسرى سائلة مستنكرة ما أهمية الدين هنا." (الدويهي، 2012، ص133)

2- حالة الفساد والفقر التي سادت المجتمع قبل الحرب الأهلية:

صور المؤلف حالة الفقر التي تسود المجتمع بتسليط الضوء على عدة ظواهر كظاهرة التسول حيث عرض شخصية المتسول الذي لحق (توما ورخيمة) أثناء توديع (نظام) وهو يغادر إلى بيروت " يطاردهما بإلحاح صبي متسول حافي القدمين، يمسك توما من يده" (الدويهي، 2012، ص81)

كما صوَّر ظهور أحزاب للدفاع عن الفقراء، كخلية فرج الله الحلو التي تدافع عن الفقراء وتستعيد حقوقهم، ويظهر ذلك من خلال الحوار الذي يدور في مجالسهم" سرعان ما انتقلوا من كتب قرأوها وأفلام شاهدوها إلى حزام الفقر الذي بدأ يلف العاصمة بيروت من عدة جهات. " (الدويهي، 2012، ص123)

ومن ظواهر الفساد انتشار السرقات فأول وصية يوصي بها رفول (نظام) عند وصوله بيروت ألا يترك في غرفته مالا أو أغراضا ثمينة لأن السرقات تتكاثر. (الدويهي، 2012، ص90)

وتتسع دائرة السرقات لتشمل السطو على الأسواق والبنوك على صورة هجوم مسلح الذي صادف وصول توما ورخيمة إلى بيروت " وصلا إلى المدرسة والإدارة لا تعرف كيف تتدبر سلامة التلامذة، فالشوارع غير آمنة لتسيير الحافلات وتسمع بوضوح بعض الانفجارات المتباعدة ومعها كل أنواع الأخبار المجنونة." سرقوا سوق الصاغة" (الدويهي، 2012، ص36)

ومن عمليات السطو والسرقة ما قامت به خلية فرج الله الحلو "الذين سطوا على البنك البريطاني وزعوا عند دخولهم بيانا نقله بعض من فروا إلى خارج المصرف وهو موقع باسم منظمة الاشتراكيين العرب يهاجمون فيه النظام المصرفي والرأسمالية العالمية." (الدويهي، 2012، ص175)

ومما يؤكد انتشار السرقات المسلحة احتياط البعض بوضع أبواب من الحديد وقفلها كما فعل محمود العلمي " كان قد جهز حديثا بباب حديد يقفل في المساء بعد تكاثر حوادث السلب وحتى السرقات المسلحة في وضح النهار، كما شعت أخبار كثيرة عن عصابة لسرقة الأولاَّد وبيعهم" (الدويهي، 2012، ص48)

وانتشار ظاهرة القمار بين فئات المجتمع المختلفة، دليل آخر على الفساد الذي عم الأرجاء في البلاد، فيتعرض (نظام) للنصب في مشهد صاحب الورقات الثلاث " توقف إلى جانب رجال يتابعون رشاقة لاعب الورقات الثلاث، يصفّها على كرسي صغير انحنى فوقه، ملكتان حمراوان وملك أسود. أحد المتحلقين يراهن على ملك البستوني فيربح، مرة خمس ليرات، يراهن بالعشرة، يربحها. " (الدويهي، 2012، ص94)

كما يصور عمليات القتل بسبب الثأر" واحد من آل دندش قتل ثلاثة في سوق الخضار ثأرا لشقيقه وبقي واقفا ينتظر وصول الدرك ليسلم نفسه وسلاحه." (الدويهي، 2012، ص97)

وأحيانا القتل بسبب المواجهات بين الحركات الثورية والجيش النظامي " سقط خمسة قتلى من بين المطلوبين واستسلم الباقون بعد أن حاولوا التحصن داخل أحد المساجد، كما قتل جنديان ضاعا داخل أزقة السوق فأطلقت عليهما النار من مكان لم يتمكن أحد من تحديده في متاهة المداخل والمنافذ." (الدويهي، 2012، ص37)

ويصور الظلم الذي يقع على طبقة العاملين الكادحين، فيصف ما تعرض إليه الصيادون " كان الصيادون مضربين لأن الحكومة ستمنح إحدى الشركات امتيازا لصيد الأسماك بالبواخر الصناعية وقد انضمت إلى مطالبهم الأحزاب اليسارية." (الدويهي، 2012، ص60)

وفي موقف آخر يصف فيه تأخر المعاشات " أكوام النفايات تأخر عمال البلدية في رفعها، السيارات العابرة تبعثرها على الأسفلت. تتأخر معاشات العمال فيضربون." (الدويهي، 2012، ص80)

إضافة إلى التهديد الذي يتعرضون له كما حصل مع عمال الحذاء الأحمر" فأشركوه في اجتماعات مع عمال مصنع الحذاء الأحمر المهددين بالصرف." (الدويهي، 2012، ص138)

ومن صور الخروج عن القانون أيضا والفساد: التجارة بالحشيش التي قدمها بشخصية المرابي(محمود العلمي) " في النهاية خرج محمود العلمي بريئا من المحاكمة، فسرت أقاويل بأن التحقيقات كشفت تفاصيل أخرى حول إخراجه خلسة عبر المطار مواد غير مشروعة مع مسافرين يشاركون في رحلاته السياحية... وبأنه بدوره كان مجرد عميل لتجار من سهل البقاع وجدوا في الرحلات السياحية المنظمة وسيلة جديدة للإفلات من رقابة الجمارك." (الدويهي، 2012، ص46)

ولكنه يستمر ويستغل زوجته بالتهريب عندما كان يرسلها لاستبدال الأفلام في بيروت بعد أن استأجر صالة للسينما في حمص " استرعت مرة تلك العلب الحديدية المستديرة المكدسة في صندوق سيارة الأجرة الخلفي انتباه موظف جديد في الأمن العام السوري. أخرجها وفتشها فوجد المخدرات مدسوسة في علب فيلم "سجين زندا" اقتادوا صباح إلى سجن الحدود." (الدويهي، 2012، ص66)

3- الإشارة إلى النشاط الثّوري الفلسطيني:

ويظهر ذلك في عدة مواقع في الرواية " عندما انفجرت في طرابلس تظاهرات في ذكرى قرار تقسيم فلسطين. حشد مرتجل من الشبان الغاضبين بعضهم يحمل العلم العربي يهتفون منطلقين من جهة الجامع المنصوري الكبير في الأسواق القديمة نحو ساحة السرايا" (الدويهي، 2012، ص14)

ومن معسكر لتدريب الشباب على فنون القتال يبين الخلاف بين اللبنانيين والفلسطينيين " اكتشف المدرب المراهقين فناداهم طالبا إليهم أن يخرجوا من خلف الهيشة وينضموا إلى رفاقهم، عليهم أن يتعلموا القتال هم أيضا كي لا يأخذ الفلسطينيون بلدتهم." (الدويهي، 2012، ص68)

ثم يعلن عن الوجود الرسمي لحركة فتح ونشاطها الثوري في لبنان بتوضيح المصدر الذي حصلت منه يسرى مكتبي على المسدس " كانت قد أصرت على أن تحصل على مسدس عندما أوصت تعليمات المكتب السياسي بأن الظرف الأمني العام يقتضي اقتناء الرفاق سلاحا فرديا للدفاع عن النفس، وأنه يمكنهم الحصول عليه من مكتب التنظيم اللبناني لحركة فتح في مخيم شاتيلا للاجئين الفلسطينيين لدى المدعو أبو خالد أثينا تيمنا بعملية قادها في العاصمة اليونانية ضد مكاتب شركة طيران العال الإسرائيلية." (الدويهي، 2012، ص 151)

4- الإشارة إلى الحرب مع اليهود:

يشير في بعض المواقع إلى المواجهات مع الصهاينة " فمن قرأ بيانات الثوار التي وزعت ليلا والمليئة بالهجوم على الاستعمار الأميركي حليف الصهيونية قد يخشى تعرض المدرسة للاعتداء باعتبارها هدفا نموذجيا." (الدويهي، 2012، ص36)، " أطلوا على المرفأ ودخلوا ساحة البرج. تقف في وسط الساحة لوحة إعلانية لوزارة الصحة العامة كتب عليها "لقحوا أطفالكم ضد الشلل قبل فوات الأوان. شطب أحدهم الشلل وكتب فوقها بخط اليد " الحل السلمي". الحل السلمي مع إسرائيل." (الدويهي، 2012، ص88)، ثم يصف الغارات التي تشنها الطائرات الإسرائيلية " سمعا دوي انفجار عميق. لجهة المطار، كما افترضت، "لا يضربون إلا من الجو، الجبناء... رجحت أنها غارة تشنها الطائرات الإسرائيلية." (الدويهي، 2012، ص116-117)

هكذا قدم المؤلف صورة حية للواقع الاجتماعي والاقتصادي عشية الحرب، واقع معبأ تعبئة تنذر بالانفجار الكبير في أي لحظة، فبالرغم من وجود التعايش بين مختلف الأديان إلا أنه يعج بحالة من الفوضى والفساد بسبب الفقر الذي أدى إلى انتشار القتل والسرقات، إضافة إلى مشاكل وخلافات خارجية محورها القضية الفلسطينية. لا شك أن لهذه الأوضاع دورا غير بسيط في تفجير الحرب اللبنانية، وتأجيج نارها، وتعميق مداها وتوسيعها.

ثانياً- لبنان أثناء الحرب الأهلية:

1- شرارة الحرب[1]:

(1) الشرارة الحقيقية لبدء الحرب الأهلية اللبنانية كانت في 13أبريل 1975 عندما قام مجهولون بمحاولة اغتيال بيار الجميل رئيس حزب الكتائب الذي نجا من المحاولة ولقي أربعة أشخاص حتفهم فيها، اثنان منهم حراس شخصيون لجميّل. ردّت ميليشيات حزب الكتائب على محاولة الاغتيال بالتعرض لحافلة كانت تقل أعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة إلى مخيم تل الزعتر مروراً بمنطقة عين الرمانة .أدّى الكمين الذي نصبه مقاتلو حزب الكتائب إلى مقتل 27 فلسطينياً. سميت الحادثة بحادثة البوسطة والتي كانت بمثابة الشرارة لبدء القتال في كل أنحاء البلاد. بانتشار الخبر، سرعان ما اندلعت الاشتباكات بين الميليشيات الفلسطينية والكتائبية في أنحاء المدينة. ينظر الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki/

بدأت مرحلة الحرب في الرواية في بداية الفصل الثالث مع حادثة عين الرمانة التي راح ضحيتها ثلاثون قتيلا، وقد وصفها الكاتب وصفا دقيقا باعتبارها الشرارة الأولى فها هو أحدهم يحذر (نظام) من الاقتراب من المنارة " مع اقترابه من معهد الدراسات الشرقية رأى رجلا بثياب مدنية يحمل بندقية رشاشة، ينظم السير، يدعو السائقين إلى الإسراع، يهتم بالمشاة، يسأل نظام:

- إلى أين؟

أشار (نظام) بيده في اتجاه غير واضح:

- إلى المنارة...

فحذره المسلح:

- لا تذهب إلى هناك!

سأله عن السبب.

هناك ثلاثون قتيلا في عين الرمانة." (الدويهي، 2012، ص189)

وفي توضيح التفاصيل على لسان (أبو علي) الذي قذفت به الحادثة إلى ساحة البرج " كانوا في سباق الخيل، نزل الرصاص عليهم في الشوط الرابع بينما كانت الجياد تلف كوع الوردات. مسلح قيل إنه فلسطيني جاء من جهة المحكمة العسكرية وأطلق قذيفة "أر بي جي" نحو الخيل وراكبي الخيل فأصاب أمير الليل وكان مجليا..." (الدويهي، 2012، ص191)

وبعد هذه الحادثة بدأت الحياة في لبنان تضطرب وتتغير لتدخل في مرحلة الحرب الأهلية وقد تناولت الرواية وصف الحياة أثناء الحرب بوصف التفجيرات والقتل والأثر النفسي الذي تخلفه الحرب.

2- المجازر والقتل الطائفي:

بدأ سؤال الهوية يطرح نفسه على أرض الواقع، لقد أصبح القتل بناء على الديانة، فالمسلم ذنبه الوحيد وتهمته أنه مسلم عند المسيحيين، والمسيحي كذلك عند المسلمين، وهذا ما صرخت به أولغا لتنقذ (نظام) " إنه ليس مسلما وإنه بريء" (الدويهي، 2012، ص22)، وما يؤكد ذلك أيضا ما ورد في وصف مشاعر الخوف التي سيطرت على رخيمة عندما علمت أن الشقة التي يسكنها (نظام) تقع في حي المسلمين " خافت رخيمة عندما قيل لها إن الشقة التي بحثت عنها هي وتوما ولم يجداها في بيروت تقع في حي للمسلمين. تتذكر أن نظام تعمَّد وتنسى أنه مسلم. تقول للسائق عساه يقنعه إذا التقى به. - فليأت إلى حورا حتى يفرجها الله." (الدويهي، 2012، ص199)

وفي قصة (أحمد) الصبي الموظف في بيع الطيور الذي ترك عمله هربا من شبان الأحزاب، يبحثون عنه بسبب اسمه الذي يدل على ديانته دليل على حضور سؤال الهوية والقتل بناء على ذلك " دخل عليه شبان من الأحزاب يسألونه إذا كان يعمل لديه شخص يدعى أحمد... حضر صباح هذا اليوم... قد يأخذونه ولا يرجعونه، يقتلونه ويرمونه. مرر أحمد سبابته أمام منقار الببغاء مودعا وذهب إلى بيته. لن يعود." (الدويهي، 2012، ص208).

سؤال الهوية يسيطر على الموقف، يحذر المسلم من المسيحي والمسيحي من المسلم، حتى أثناء التنقل يحذرون في اختيار السيارة والسائق، كما فعل (رفول) صاحب الفندق عندما أراد أن ينقل الأهالي إلى قراهم" يستأجر سيارات لنقل أهل القرى إلى قراهم البعيدة ويريد قبل تسليمهم للسائق التأكد من هويته. لا يريد سائقين مسلمين لأنهم سيعبرون بهم المنطقة المسيحية. يحاول تدبر ذهابهم قبل حلول الليل. كانت خريطة الطريق واضحة في ذهنه، يبقى أن يلقنها للسائقين: - لا تدخلوا بهم إلى طرابلس، تأخذون اليمين صعودا عند مفترق الأرز في شكا..." (الدويهي، 2012، ص193)

وشخصية (نظام) كانت الشخصية المجسدة لهذا السؤال: فهو مرة مسيحي ومرة مسلم يحمل في رقبته (آية الكرسي) علقتها له عمته نجيحة، وأيقونة (الحبل بلا دنس) أعطته إياها رخيمة التي خلصته من أيدي المسيحيين الذين اعتقلوه أثناء عودته إلى بيروت بصحبة أولغا، عندما قرأ المسلح الذي طلب هويته اسم (محمود): " قال له فجأة إنه ماروني، مسيحي مثله. رجاه أن يصدقه، صحيح أنه ولد مسلما لكن جدته لأمه مسيحية من سوريا وهو صار مسيحيا... تذكر هويته فطالبه أن ينظر فيتأكد أن لا ديانة مذكورة على بطاقته... أخبره كيف أنه تعمد فوق في كنيسة بجوار حورا... أدخل يده تحت قميصه، أراد إخراج الأيقونة الصغيرة التي أعطته إياها رخيمة قبل نزوله إلى بيروت، أيقونة الحبل بلا دنس. تلمس بيده المرتجفة وهو يخشى إخراج آية الكرسي... نزعها بقوة... أعطاها للمسلح الذي أخذها ودسها في جيبه مع بطاقة الهوية... بدأ نظام بتلاوة " الأبانا والسلام"... كان مضطرا إلى أن يكثر من البراهين... صرخ به جورج أن يتوقف لكن لهجته كانت هادئة هذه المرة. رفع الكيس فجأة عن رأس نظام نظر في وجهه وأمره: - شكلك مسيحي، روح بسرعة" (الدويهي، 2012، ص226-229)

يصمم والد جنان هوية مزورة ل (نظام) ويختار له اسما مسيحيا (جوزف صافي) حتى يستطيع التنقل، ثم يتعرض مرة أخرى لسؤال الهوية لكن هذه المرة على يد المسلمين حيث كانت نهايته، عندما سأله حارس العمارة التي احتلتها حركة الأفواج الوطنية:

"-إلى ما تنظر؟

- إلى الشمس

طفح الكيل مع مسلح الأفواج الوطنية.

وجه البندقية نحوه وطلب منه النهوض ومرافقته.

انصاع نظام. مشى أمامه بلا تردد...خذه إلى أبو جعفر... وقف واقترب من نظام وهو يلوح له بالبطاقة أمام وجهه مجددا.

- جوزف صافي، إيه؟

صار عدوا مستباحا، لا حدود معه...كان يجمع معلومات عن المركز، معه بطاقة انتساب إلى الجبهة اللبنانية... توعده بأنه سيلقن الذين أرسلوه درسا لن ينسوه... هدده بأن يرميه من هنا إذا رفض الكلام، من فوق، من الطابق الثلاثين. رموا غيره قبله... ضربوه من عجزهم، لم يخرجوا منه كلمة لها معنى. فضربه أبو النار لكمه بالمسدس على رأسه... وقع ولم يصرخ." (الدويهي، 2012، ص298-307)

كل تلك المشاهد تصور الحرب الطاحنة في بيروت، رائحة الموت في كل مكان، جثث القتلى متراكمة " رآهم يصنعون من الجثث كومة، الكثير من الرجال وبعض النساء أيضا، بينهم شاب بلباس الجيش، يأتون بهم والكيس في الرأس أمام رجل يطلق عليهم النار، مطلق النار لا يريد رؤية وجوه ضحاياه ربما، ينزعون الكيس من رأس القتيل ويرمونه جانبا." (الدويهي، 2012، ص230)

3- استباحة البيوت والأعراض:

أصبحت البيوت مستباحة في فترة الحرب فتسرق محتوياتها دون الشعور بالذنب أو الحرج، كما فعل المسيحيون في حورا عندما سرقوا بيوت المسلمين " سرقت بيوت المسلمين الذين تركوا وراءهم بعض الأثاث ينتظرهم خلال فصل الشتاء" (الدويهي، 2012، ص245)

وقد استباح المسلحون من التنظيم الشعبي شقة أولغا واتخذوها مركزا للمراقبة " عاد أحد المسلحين من الشرفة راضيا وأعلن أن الموقع مناسب لهم...بعد انتهاء عملية الكشف على الموقع." (الدويهي، 2012، ص261-262)

ولكنَّ الأمر لم يقتصر على استباحة البيت بل تعدى ذلك إلى استباحة الأعراض بالتهجم على أولغا قبل مغادرتهم الشقة. (الدويهي، 2012، ص270)

4- أثر الحرب النفسي:

أ- الاضطراب والخوف والقلق:

مشاعر مختلطة أوجدتها الحرب، مشاعر تناثرت بين مشاهد مختلفة في الرواية فقد خلت الشوارع من السابلة وأغلقت المحلات خوفا من التعرض للقتل والرصاص " الخدم بوزراتهم البيضاء الطويلة يقفلون مقهى الجمهورية. كلما حمل واحدهم طاولة من الرصيف إلى الداخل، يتوقف لحظة ينعم النظر في الساحة التي لم يرها فارغة بالكامل من قبل. كل ما يقفل أقفل، كل ما يمكن نقله نقل تحسبا لوصول الموجة المنطلقة من عين الرمانة، من حيث سقط القتلى الجالسون في مقاعدهم. موجة فرّ أمامها المارة إلى بيوتهم، وفرغت بانتظارها الشوارع." (الدويهي، 2012، ص194)

وقد فارق النوم عيني (رخيمة) وأصبح الأرق رفيقا لها عندما عاد (نظام) إلى حورا؛ خوفا من قتله بسبب ديانته " قد يؤذونه أولاً الحرام، البارحة عندما جاء خبر عزيز تذكروه، راحوا يثرثرون ويتوعدون بأنهم ما عادوا يريدون مسلمين في حورا، لن أنام الليل ما دام هنا، أقف إلى النافذة كلما سمعت خطى في الخارج." (الدويهي، 2012، ص247)

لم يقتصر الخوف على البشر بل تعداه إلى الطير والحيوان وقد تمثل ذلك بمشهد إطلاق الرصاص بجانب محل لبيع الطيور " جنت العصافير، انتقل إليها خوف العابرين وأصحاب المحال صارت ترفرف بأجنحتها داخل الأقفاص كأنها تحاول الإفلات. لم تزقزق، لم تثرثر عندما انفجرت طلقات الرصاص بل حاولت الهرب جميعها دفعة واحدة." (الدويهي، 2012، ص209)

ب- الضيق والضجر:

وهي حالة ملازمة لواقع الحرب ويظهر ذلك في الرواية أثناء عودة (نظام) إلى بيروت مع السائق الذي يدعى (الشيطان) " جلس إلى جانبه، لم يتبادلا الكلام في الطريق الضيق المتعرج نزولا وسط أشجار الصنوبر. فقط عند وصولهما على الطريق الساحلية سأله نظام لماذا أقلع عن المواويل والزجل. – قلوبنا مسكرة... تنهد السائق." (الدويهي، 2012، ص248)

5- الهجرة:

بعد غياب الأمن وانتشار القتل والموت والهلاك والجحيم المشتعل، يصبح الهروب بحثا عن الاستقرار والهدوء مطلب كثير من الناس فقد يهرب من بيته إلى بيت آخر كما حصل مع (شمعون رخو) حيث انتقل من حيه الذي يقنطه السريان الكاثوليك الذين أسمعوه أنهم لا يريدون غرباء في حيهم فلم يعد إلى بيته بعد ذلك وانتقل إلى الأحياء الوطنية. (الدويهي، 2012، ص198)

ويعود السياح والأجانب إلى بلادهم وقد تمثل ذلك بشخصيتي (جوناثان وبربارة) الأمريكيان عادا إلى مسقط رأسهما في ولاية ديلاوير هربا مما يحصل في بيروت " في الساعة الثانية عشرة ظهرا ستحضر سيارة تحمل لوحة دبلوماسية لتنقلهما إلى مقر السفارة الجديد حيث تقلع بهما وبغيرهما من الأمريكيين طوّافة من هناك إلى جزيرة قبرص ومنها بالطائرة إلى مسقط رأسهما في ولاية ديلاوير." (الدويهي، 2012، ص234)

ثم هجرة أولغا التي عزمت على عدم العودة إلى بيروت" لن أعود إلى هنا بعد اليوم، يا أمي..." (الدويهي، 2012، ص274)

المبحث الثاني- انسجام البناء الفني والبناء الموضوعي في الرواية.

تحتوي الرواية على مجموعة من العناصر المتعالقة، التي تتواشج لتنسجم فتكون البنية الكلية للرواية، وتتمثل في عناصر الأحداث وتشكيلها للواقع وتصويرها له مع الشخوص والزمان والمكان، حيث يعمد الروائي إلى الإيهام بالواقعية ليتم " التركيز والسعي إلى تجسيد مبدأ مهم من جماليات التلقي يتمثل في "الإيهام بالواقعية" أي الإيهام بواقعية عالمها الفني، وهذا يفرض على الرواية الاهتمام بالتفاصيل والجزئيات أو تصوير نثريات الحياة التي تبدو داخل الإطار الفني للرواية" (الماضي، 2003، ص49)

وتتمثل عناصر الرواية في معنى البناء حيث " الفكرة التي يعطيها الروائي للمشروع كله بكافة مضامينه وهي الفكرة التي ينبغي أن تتوسع وتدرس" (ولسن، 1986، ص212)، ومجموع العناصر المكونة للرواية تعمد إلى البداية والذروة والنهاية التي تؤكد على " الترابط بين الأحداث والتفاعل بين الحدث والشخصية الذي يؤدي إلى نمو الأحداث وفق مبدأ السببية، كما يؤدي إلى تطور الشخصية وتناميها، وكل هذا يؤدي إلى التوازن في العلاقة بين الحدث والشخصية، والشخصية والزمان والمكان، وهو ما يصف البناء بالتماسك والترابط والتدرج الفني، وتأتي تقنيات الرواية الحديثة تلبية لرؤيتها ووظيفتها وتؤدي الأساليب السردية دورا رئيسيا في توازن البنية الروائية برمتها." (الماضي، 2003، ص50)

ويعد عنوان الرواية والعناوين الداخلية "من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة. كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص، وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة، وبالتالي فالنص هو العنوان، والعنوان هو النص وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، أو علاقات تعيينية أو إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية." (حمداوي، 2011، ص261)

بنية العنوان:

- **أولاً- العنوان الرئيس:**

يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية، فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة. كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص، وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة، وبالتالي فالنص هو العنوان، والعنوان هو النص وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، أو علاقات تعيينية أو إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية" (حمداوي، 2011، ص216)

وعنوان (شريد المنازل) ثنائي البنية، يعكس الثنائية التي عاش فيها (نظام) الشخصية المحورية في الرواية، فقد كان له اسمان، ومنزلان في مكانين مختلفين الريف والمدينة، وديانتان، وأسرتان.

والناظر في العنوان لا بد أن يتساءل من هو شريد المنازل؟ وما سبب تشرده؟ سؤال نبحث عن إجابته بين دفتي الرواية لنجده يحيلنا إلى أكثر من شريد ف(شمعون) شريد الأوطان كما عبر عن نفسه في توقيعه على رسالة تركها ل(نظام): " شمعون رخو، شريد الأوطان ويتيم الأصدقاء"(الدويهي، 2012، ص295) و(أولغا) وأمها شريدتا الأوطان أيضا فالأم ترفض مرافقة ابنتها قائلة:" تعبت من الانتقال من بلد إلى بلد " (الدويهي، 2012، ص274)، و(أولغا) " بدأت من بطرسبرغ ولا تعرف أين تنتهي" (الدويهي، 2012، ص 238) و(سيريل) شريد المنازل والفنادق،

والده لبناني وأمه فرنسية، فصل من عمله، وطرد من الفندق ليجد نفسه نائما على الرصيف. (الدويهي، 2012، ص103)

ولكنَّ (نظام) أكثر من تشرد في هذه الرواية، تشرد في حياته ومماته، فعاش بين أسرتين واعتنق ديانتين، دين أهله ودين توما ورخيمة، تاه بين قشور الديانات، ولم يعرف لمن ينتمي، وكيف يمكنه أن ينتمي، فهو يرى نفسه لا مسلما ولا مسيحيا، مواطن لبناني يظن أنه تجاوز الأديان والطوائف والعصبيات في محاولة للانتماء فقط إلى وطن، ولكن لا مناص، ففي هذا الوطن هويتك ووجودك تحددهما طائفتك.

وما لم تجمعه الحياة لم يستطع أن يجمعه حتى الموت، وبقيت روح (نظام) تائهة شريدة متعبة، لم يعرف له مكان حتى بعد موته، هل هو في بستان (توما ورخيمة) أم في منزل (آل العلمي)؟ شخصية لا يليق بها إلا وصف شريد.

(شريد المنازل) عنوان يعكس عبثية الحرب الأهلية وأثرها على أفراد المجتمع، فوضى وضياع وتشرد يبدأ ولا ينتهي، هذه هي الحرب الأهلية التي اندلعت في لبنان.

ثانياً- العناوين الداخلية:

تدور أحداث الرواية في أربعة فصول معنونة بعناوين تحمل دلالات إيحائية . وأول هذه الفصول بعنوان (الخزامى وأشياء أخرى) عبارة وردت في وصف (رخيمة) بقوله" رخيمة رقيقة، فساتينها منقطة، خمارها أسود مطرز تطويه وتفتحه بتأن وخشوع، لا تضعه على رأسها إلا عند دخولها كنيسة ماريوسف. شعرها دائما كالمبلل المغسول لتوه. ورائحتها الخزامى وأشياء أخرى" (الدويهي، 2012، ص28)

عبارة تصف الرائحة التي جذبت الطفل (نظام) " يتمنى أحيانا... لو يبقى وجهه غارقا في صدرها، لا يشبع من رائحتها" (الدويهي، 2012، ص28)، وهي تبدو " مباحة مستسلمة، يفعل بها ما يشاء يخرب ما يشاء، يجلس في حضنها ساعة بكاملها يرسم على وجهها ويديها، يفتل لها شعرها خصلا ويمسح فمه المليء بالتوت بمريولها" (الدويهي، 2012، ص 29)، بينما أمه صباح " كانت متبرجة، لا تظهر على أحد إلا وهي في أفضل حال، مرتبة دائما لا يمكنه العبث بها، لا يقترب منها إلا وتقف على دفاعاتها: أبعد يديك!" (الدويهي، 2012، ص 29)، عنوان كشف بداية القصة: لماذا تعلق (نظام) بالأسرة المسيحية؟ ما هو الشيء المفقود لديه ووجده هناك؟

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان (بيروت؟ هاك بيروت) بيروت كما تسمى (سويسرا الشرق) غاية كل سائح عربي وأجنبي؛ لجمالها وحضارتها وانفتاحها، بيروت هي منارة (نظام) وحلمه، يسعى للوصول إليه وتحقيقه، لكن العنوان لا يحمل هذه المضامين المشوقة، فالأسلوب يوحي إلى أمر لا يتوقع، يحمل في طياته معنى مغايرا أتريد بيروت؟ أتحلم في الوصول إلى بيروت؟ أتتمنى الحياة في بيروت؟ فخذ هذه بيروت وها أنت وصلت إليها، فماذا وجدت؟ هل وجدت الجمال الذي تبحث عنه؟ لم يجد سوى الفساد الذي مهد لانفجار حرب أهلية فيما بعد، وكانت بيروت مكان موته وانتهاء حياته.

(أنت أحمد؟) عنوان الفصل الثالث إشارة صريحة إلى اشتعال الحرب الطائفية وحضور سؤال الهوية الذي عم هذا الفصل، فالعنوان جملة استفهامية، وأحمد اسم يدل على المسلمين، والمراد هل أنت مسلم؟ هل أنت مسيحي؟

يختم المؤلف الرواية في الفصل الرابع بعنوان (يراعة الليل) عبارة ترددت في فصلين سابقين، ففي الفصل الأول كان توما " يتحين هذه الفرصة ليدله على يراعة الليل التي تنطفئ وتضيء وهي تطير على علو في متناول اليد." (الدويهي، 2012، ص26)، وفي الفصل الثاني يستمر (نظام) بملاحقتها مع كبر سنه " حاول نظام وهم يخرجون

التقاط يراعة الليل العابرة، ضرب يده خلفها معتقدا مرة جديدة أنه قبض عليها لكنه فتح يده فلم يجد شيئا." (الدويهي، 2012، ص173)

ولكن المؤلف اختار (يراعة الليل) ليكون عنوانا للفصل الرابع والأخير، فلماذا؟ يراعات الليل أحبها (نظام)، وحاول اللحاق بها كبيرا وصغيرا، لكنه لم يفلح بالإمساك بها رغم أنها في متناول اليد، هل أراد الكاتب ان يقول أن(نظام) يشبه هذه اليراعات التي تضيء وتطير ف(نظام) أضاء حياة توما ورخيمة لكنهما لم يستطيعا الإمساك به، فطار محلقا في السماء كما تطير اليراعات حيث ختم الرواية بالعبارة " إن هناك فسحة بين شجرة التوت الشامي وجمّ الورد الجوري تتزاحم فيها اليراعات المضيئة التائهة بكثرة كأنها تضرب فيها موعدا في ليالي الصيف الحارة" (الدويهي، 2012، ص245)

بنية الشخصيات:

تتحقق الشخصية من التلاحم العضوي بين عناصر العمل الروائي من زمان ومكان وأحداث... وهي مهمة للقارئ من جهة أنها تكثف الإحساس بتلك العناصر، فكلما كانت الشخصية جاذبة ومقنعة زاد إقبال القارئ على قراءة الرواية (شعبان، 2004، ص119)؛ ولهذا تعد الشخصية ركنا أساسيا من أركان البناء الروائي فهي عماده وأساسه، تمثل مركز الأفكار ومجال المعاني.

ومن خلال الشخصيات التي اختارها جبور الدويهي، يصحب القارئ في رحلة استكشافية في المجتمع اللبناني، ليلقي الضوء على الأسباب الحقيقية التي قادت إلى الحرب الأهلية، وقد جعل الشخصيات الرئيسية مسلمة تمثلت بأسرة (آل العلمي) المكونة من (صباح ومحمود ونظام وميسلون وبلال وخالد،) ومسيحية تمثلت بأسرة (توما ورخيمة)، فالإسلام والمسيحية تمثلان ديانة الأكثرية في لبنان.

وجعل الشخصيات الثانوية جنسيات متعددة تعتنق ديانات مختلفة ومن الأمثلة على ذلك: الرقيب الذي داهم خلية فرج الله الحلو درزي الديانة، و(أبو علي السمسماني) متوالي شيعي، و(ألكسي بيضا) إسرائيلي الديانة، و(شمعون رخو) سرياني كاثوليكي، و(عزيز) مسيحي ماروني، و(يسرى مكتبي) ماركسية.

أبعاد الشخصية الروائية:

يتم النظر للشخصية في الرواية من خلال البعد الخارجي (الجسمي)، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي، والبعد الفكري، وكل روائي أثناء بناء شخصياته لا بد أن يراعي هذه الأبعاد؛ لأنها هي التي تميز الشخصية عن غيرها من الشخصيات، وتمنحها الفرادة.

أ- البعد الخارجي (الجسمي):

يقوم هذا البعد على الظواهر الخارجية التي تبدو عليها الشخصيات، فيشمل المظهر العام للشخصية وملامحها وطولها وعمرها ووسامتها وذمامة شكلها وقوتها الجسمانية وضعفها. (الجبوري، 2003، ص88)

ب- البعد الاجتماعي:

يظهر البعد الاجتماعي في تقديم الشخصية من خلال العلاقة بين الشخصية وغيرها من الشخصيات (شريبط، 1997، ص26)، كما يبرز البعد الاجتماعي للشخصيات أيضا من خلال الصراع بين الشخوص والذي تقل حدته بين شخوص الفئة الواحدة (فتاح، 2012، ص6)

كما يصور الروائي البعد الاجتماعي للشخصية، من خلال مكانتها الاجتماعية، حيث تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية، من حيث المهنة، والطبقة الاجتماعية: عامل، الطبقة المتوسطة، والطبقة البرجوازية، والطبقة

الإقطاعية، ووضعها الاجتماعي: فقير، وغني، فالبعد الاجتماعي يركز على الشخصية من خلال محيطها الخارجي وعلاقاتها بالشخوص الأخرى (بو عزة، 2010، ص40).

ج- البعد النفسي:

"وهو الجانب السيكولوجي للشخصية الذي يعكس حالتها النفسية، فيكشف عما تشعر به الشخصية دون أن تقوله بوضوح، أو عما تخفيه هي نفسه" (مرشد، 2005، ص6) وهو من أهم أبعاد الشخصية في الرواية، حيث يعمل كل من الحدث، والحوار، والصراع، على إظهار هذا البعد وإبرازه؛ لبيان أعماق الشخصية وإضاءتها من الداخل، (الموسى، 1996، ص110) وهذا البعد هو ثمرة البعدين السابقين، فنفسيتنا هي التي تكمل كياننا الاجتماعي والجسماني.

د- البعد الفكري:

ويقصد بالبعد الفكري للشخصية انتماؤها أو عقيدتها الدينية وهويتها وتكوينها الثقافي، وما لها من تأثير في سلوكها ورؤيتها، وتحديد وعيها ومواقفها من القضايا العديدة (السعدون، 2014، ص181)، فيمثل هذا البعد الأبعاد الفكرية التي تتحلى بها الشخصية، من فكر ديني وفكر ثقافي وفكر سياسي، وانعكاسها على المجتمع.

وهذه الأبعاد كلها متداخلة فيما بينها " يؤثر كل منهما على الآخر ويتأثر به فالطباع رغم أنها فطرية تتأثر بالتربية والبيئة، والجانب العقلي تنميه الثقافة والتربية، والثياب تعبر عن ذوق صاحبها وبيئته ومستواه الاجتماعي في الوقت نفسه"(خمار، 1999، ص25) فالشخصية هي" مجموعة من الصفات الجسدية والنفسية، موروثة ومكتسبة، عادات وتقاليد وقيم وعواطف متفاعلة كما يراها الآخرون من خلال التعامل معه".(رياض، 2005، ص10)

وهكذا يتبين أن الشخصية مزيج مركب من أربعة أبعاد (جسمية، واجتماعية، ونفسية، وفكرية)، ولا يمكن الاستغناء عنها لأنها هي التي تكونها.

5- أنواع الشخصيات الروائية

ثمة تصنيفات عديدة للشخصيات، حيث أثارت هذه المسألة إشكالات متعددة؛ نظرا لتعدد واختلاف معايير التصنيف، ويمكن تقسيم الشخصيات إلى رئيسة وثانوية حسب مشاركتها وارتباطها بأحداث الرواية، كما يمكن تقسيمها إلى نامية، ومسطحة حسب تطورها.

أ- الشخصيات تبعا للحدث:

الشخصية الرئيسة وهي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها دائما هي الشخصية المحورية (فتحي، 1986، ص211-212)، التي تضطلع عادة بالأحداث، وتسعى إلى تنميتها وتتميز الشخصية الرئيسة " بوجودها وعواطفها وبنظرتها إلى الآخرين، وإلى العالم المحيط "(زيتوني، 2002، ص115)، كما تتمتع باستقلالية في الرأي، وحرية في الحركة داخل مجال النص القصصي. (شريبط، 1997، ص45)

أما الشخصية الثانوية فهي تحمل أدوارا قليلة في الرواية وأقل فاعلية، إذا ما قارناها بالشخصية الرئيسية " فهي التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسة، تكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها وإما تابعة لها، تدور في فلكها أو تنطق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها " (زعرب، 2006، ص132) ووجودها أساسي لتكتمل الأحداث فهي " تصعد إلى مسرح الأحداث بين الحين والآخر وفقا للدور المنوط". (شعث، 2010، ص3).

ب- الشخصيات تبعا لتطورها:

الشخصية النامية التي تعرف بأنها تلك التي " لا تبدو للقارئ في الصفحات الأولى، بل تتكشف شيئا فشيئا، وتتطور بتطور القصة وأحداثها، بحيث يكون تطورها نتيجة تفاعلها المستمر مع هذه الحوادث" (سلام، 1973، ص19)، أما الشخصية المسطحة فهي الشخصية الجامدة التي لا تقوم بأي حركة وتطور ويعرفها عبد الملك مرتاض هي" تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة".(مرتاض، 1998، ص89).

الشخصيات الرئيسة وأبعادها في رواية "شريد المنازل":

1- **(نظام):** شخصية (نظام) في الرواية شخصية رئيسية نامية ومتطورة، تجري من خلالها أحداث الرواية، حيث تؤثر وتتأثر بها، فشخصية (نظام) المسلم في الولادة والمسيحي في الإقامة والرعاية، يختزل وطنا أو حلما ببناء وطن لا تجني على مواطنيه هوياتهم، شخصية تمثل ما يمكن أن يكون عليه المواطن اللبناني متجاوزا الأديان والعصبيات من دون إنكار وجودها، يمثل لبنان التي لا تستطيع أن تصفها أو تحدد لها ديانة واحدة، أو تفرض على أهلها اعتقاد واحد، وفي موته تخليد لمبادئه وتصوير لعبثية الحرب.

وقد صور الكاتب بعض الأبعاد الخارجية لهذه الشخصية في فترة الطفولة، فكان طفلا جميلا شعره أشقر متموج، ووجنتاه ممتلئتان، كما صورها شخصية محبوبة، وتمثل ذلك في حب توما ورخيمة ونساء الحي ومعلمات المدرسة، ثم في أولغا وخلية فرج الله الحلو وجنان، كما أنها تمثل حلقة الوصل التي تجمع شخصيات الرواية جميعا، ففي البداية جمعت توما ورخيمة مع آل العلمي، ثم جمعت أفراد خلية فرج الله الحلو.

أما اسم الشخصية (نظام) فقد ذكر الراوي أن والده اختار الاسم متأثرا بآخر رواية قرأها(الدويهي، 2012، ص20)، لكن يبدو أن اختياره كان مجازا ليعبر عن ضده، فهذه الشخصية عاشت في تخبط وفوضى، أما النظام فكان بعيدا كل البعد عن هذه الشخصية.

2- **(توما ورخيمة):** والدا (نظام) بالتبني، يمثلان حقيقة التسامح الديني فهما مسيحيان اهتما ب(نظام) المسلم وأحباه حبا حقيقيا، أغدقا عليه المال الوفير والحب والحنان والرعاية، كما أنهما شاركا أسرته بمناسباتها الدينية وعاداتها وتقاليدها كحضور ختان (نظام).

3- **(محمود العلمي):** شخصية رئيسية تمثل حالة الفساد تحت غطاء قانوني، وزوجته صباح التي يلحقها الضرر من أفعاله.

4- **(ميسلون):** الشخصية المساندة لشخصية البطل (نظام) فهو أخوها، تحبه وتحب له كل ما تعتقد أنه يحبه لنفسه أرادت ان تسهل له التحرر من آل العلمي فقصت رأسه من الصور (الدويهي، 2012، ص 148)، وهي من حسمت الأمر بعد وفاته، واختارت لروحه المكان الذي تجد راحتها فيه.

5- **(خالد):** يمثل الشخصية المتدينة والمتعصبة التي تستغني عن أي إنسان كان حتى لو كان أخا أو اختا او أما أو أبا بسبب الديانة.

6- **(بلال):** شخصية محايدة.

ومن خلال الشخصيات الثانوية ظهر نسيج المجتمع اللبناني متنوع الأديان والجنسيات التي بدت متعايشة قبل اشتعال شرارة الحرب، ثم انفجرت حربا طائفية بعد اندلاع الحرب بين المسلمين والمسيحيين.

لقد رسم جبور الدويهي شخصياته بحرفية شديدة حيث كان اختيار الشخصية ذات الولاء المزدوج متطلبا يعكس صورة التعقيدات المرتبطة بالنسيج الطائفي للمجتمع اللبناني، ولم يقترب كثيرا من ملامح شخصياته لرصد

انفعالاتها الداخلية ومشاعرها، فكل تركيزه على إمكانية التعايش العضوي ضمن الشخصية الواحدة – المجتمع - وهو تعايش قد يكون قلقا، غير مستقر أحيانا، إلا أن الرواية صورت إمكانيته.

بنية الزمان والمكان:

الرواية عبارة عن مجموعة من الأحداث " والحدث يعتمد على حكاية مجموعة من الأفعال أو المواقف الصادرة عن الشخصية الروائية، مرتبة ترتيبا زمنيا على حسب الطابع المكاني الذي تنتمي إليه الشخصية والقيم المحملة من قبل هذا المكان لتلك المواقف أو الأفعال الصادرة عن الشخصية الروائية، مرتبة ترتيبا زمنيا على حسب الطابع المكاني الذي تنتمي إليه الشخصية والقيم المحملة من قبل هذا المكان لتلك المواقف أو الأفعال الصادرة عن الشخصية، ويكون كل ذلك معبرا عنه من قبل الكاتب بطريقة فنية مميزة وذات اتجاه منطقي" (الجمالي، 2011، ص24)، أي أن الزمان والمكان عبارة عن رموز محملة بالدلالات التي تحيل على معان أو أفكار تساعد في الكشف عن توجهات الكاتب ورؤاه التي أراد أن يوصلها للقارئ من خلال روايته.

أولاً- بنية المكان:

يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدود وزمان معين" (بوعزة، 2010، ص99)، فهو أحد مكونات البنية السردية باعتباره الأرضية التي تجري فيها الأحداث.

والمكان في الرواية أيا كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي ولو أشارت إليه الرواية أو سمته بالاسم، فالمقصود بالمكان في الرواية " الفضاء الخارجي الذي يضعه الروائي من كلمات ويضعه كإطار تجري فيه الأحداث"(جريبه، 1998، 134)، فهو " عالم خيالي مبني من كلمات تجري فيه أحداث الرواية لا تعيش فيه إلا الشخصيات، وأما الشخوص فهي التي تعيش في الأماكن الواقعية، حتى لو تشابهت الأماكن الروائية مع أماكن العالم الواقعي ". (عدوان، 2005، ص19).

وهذا يعني أن المكان الروائي ليس مكانا معتادا كالذي نعيش، ولكنه مكان تخيلي غير واقعي يتشكل عن طريق اللغة الروائية، فيحقق المؤلف باللغة عالمه الروائي بكل تصوراته، وتمنحه الحرية في تشكيل فضائه بعيدا عن كل القوانين الهندسية بمشاركة الشخصيات ووظائفها المختلفة.

يكتسب المكان أهمية كبيرة في العمل الروائي، وفاعليته لا تقل عن فاعلية باقي المكونات، فهو" يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، وقد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله "(بحراوي، 1990، ص33)، كما أن أهميته تتجلى من خلال علاقاته مع العناصر الروائية الأخرى فهو " لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد... وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد"(بحراوي، 1990، ص33)

ويرى لحميداني أن المكان "هو الذي يؤسس للحكي"(لحميداني، 1991، ص65) في معظم الأحيان، وأن أبرز وظيفة له في النص الروائي" الوظيفة التفسيرية "(لحميداني، 1991، ص65)، فمن خلال الصور الوصفية والسردية ينفذ الروائي إلى الحياة البشرية، كما يعكس المكان نفسية الشخصيات، ويكشف هويتها وأنماطها، و يقف شاهدا على عمق الانتماء، فعلاقة الإنسان بالمكان تتشكل عادة بالتأثر بينهما؛ حيث تمتد الذات البشرية بطبيعتها خارج حدود جسدها إلى المكان؛ فتصبح له سطوة وسيطرة على الشخصية التي تتفاعل معه وتصبح جزءا منه، لا يمكن فصلها عنه لأنه يشكل هويتها وكيانها، وبالوقت ذاته لا يستطيع المكان الاستغناء عن الشخصيات لأنها تضفي عليه الحياة والحركة.

كما أن المكان " يرتبط بعرى وثيقة لا تنفصم مع الزمان " (النعيمي، 2004، ص81)، فعندما نتحدث عن المكان يتبادر إلى ذهننا مباشرة كلمة (الزمان)، حتى أن الدراسات الحديثة اختصرتهما في كلمة واحدة (الزمكان)، ذلك أن المكان يمثل إلى جانب الزمان "الإحداثيات الأساسية التي تحدد الأشياء الفيزيقية، فنستطيع أن نميز فيما بين الأشياء من خلال وضعهما في المكان، كما نستطيع أن نحدد الحوادث من خلال تأريخ وقوعها في الزمان"(بوعزة، 2010، ص99)، " كما يشكلان معا فضاء الرواية " المكان والزمان هما مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني، ولكل بيئة مكانية خصائصها الطبيعية والمناخية والجيولوجية... كما لها ذاتيتها التاريخية، ولكل رواية علاقة خاصة تربط بين الزمان والمكان من ناحية، والزمان والشخصية من ناحية أخرى، وتتسم هاتان العلاقتان بمجموعة من القيم الجمالية والاجتماعية التي تشكل فضاء الرواية" (النعيمي، 2004، ص82)

وهناك من يرى أن المكان هو هوية العمل الأدبي الذي إذا افتقد المكانية يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته وفي ذلك يقول شاكر النابلسي: " ولعل مرد اهتمام غالب هلسا بالمكان على هذا النحو إيمانه المتمثل بقوله في مقدمته لكتاب باشلا:"إن العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"(النابلسي، 1994، ص1)

أنواع المكان:

تعددت تقسيمات المكان واختلفت عند الكثير من الباحثين واتسمت هذه الأنواع بالنسبية وعدم الثبات ومن أمثال هذه التقسيمات تقسيم المكان الواقعي إلى نوعين (الفيصل، 2003، ص744-78):

أولاً: المكان المفتوح.

ثانياً: المكان المغلق.

أولاً- المكان المفتوح:

ويعني "المكان المشاع، حدوده متسعة ومفتوحة "(البنا، 2009، ص31)، ويمكن للإنسان التنقل فيه بكل حرية وراحة كالمدينة والقرية والأحياء، وهي غير محدودة.

ولقد اتخذت رواية (شريد المنازل) بعض الأماكن المفتوحة إطارا لأحداثها، وذلك بالانتقال من بلدة (حورا) إلى (مدينة بيروت)، تلك المدينة الجميلة التي أحرقتها نار الفتنة فاستحالت مدينة أشباح، فالحرب كما تؤثر على الأشخاص تؤثر على المكان أيضا.

القرية والمدينة:

في نظرة سريعة للأماكن التي اختارها جبور الدويهي مسرحا للأحداث نجد أن الرواية بدأت بوصف يظهر جمال بلدة (حورا) " حورا بسطوحها القرميد الجالسة بصعوبة بين جبل صخري يسمونه باب الهواء ودير القديس يعقوب الحبشي الذي لم تعرف له سيرة حياة مؤكدة." (الدويهي، 2012، ص1)، منطقة يرتادها مصورو الأفلام لطبيعتها وجمالها" وصلت أيضا أخبار تصوير فيلم القلب الضائع في بساتين التفاح العامر الأغصان في أعالي حورا" (الدويهي، 2012، ص 1)، اهتم بوصف جمالها فهي القرية التي سيقنطها بطل الرواية (نظام).

أما (بيروت) فيبدأ بوصف فندق (زهرة الشمال) الذي يعكس صورة تنفر منها النفوس، في حين أنه ينتظر وصوله إلى حلمه المنشود يتفاجأ بالفندق ورائحته حتى أنه لا يطيل البقاء فيه، صورة عكست فساد (بيروت) وحالها " ظن نظام أن الرائحة التي عبقت على السلم لن تلحق به إلى طابق الفندق...الرائحة ثابتة لا تحول ولا تزول. فيها المراحيض أولاً، لم يدخلها بعد، المراحيض ومسحوق الديتول الذي يرمونه فيها لإزالة رائحتها، دخان محركات

السيارات العاملة بالأجرة، مئات سيارات المرسيدس العتيقة التي تعبر وتدور في ساحة البرج. تهب عليها، تغذيها بين الحين والآخر رائحة شواء الكفتة الطالعة من الجهة الشرقية." (الدويهي، 2012، ص91-92)

الشوارع والطرقات:

إن الطريق في انتقال (نظام) بين الشقتين عكس صعوبة التنقل أثناء الحرب، فلا يمكن المرور بين الشرق والغرب بسهولة، فالكل معرض لطلقة في منتصف ظهره أو رأسه في أي وقت، لكن (نظام) جمع بين الطرفين، كما جمع بين الديانتين، وعاش بين أسرتين " مشى صعودا في شارع لبنان لا يلتفت، سلك شوارع الأشرفية... ليصل معبر المشاة بين البيروتين"(الدويهي، 2012، ص291).

ثانياً- المكان المغلق

وهو ضد المكان المفتوح " فإذا كانت الفضاءات المفتوحة امتدادات للفضاء الكوني الطبيعي مع تغيير تفرضه حاجة الإنسان المرتبطة بعصره، فإن الحاجة ذاتها تربط الإنسان بفضاءات أخرى يسكن بعضها، ويستخدم بعضها في مآرب متنوعة، فالبيت مسكنه يحميه من الطبيعة، والمستشفى مكان العلاج، والسجن قيد يسلبه حريته"(حبيلة، 2010، ص204)، وحدودها يشكل عائقا في تنقل الإنسان، ومن الأماكن المغلقة في رواية (شريد المنازل)

- **البيت:**

منزل (توما ورخيمة) فقد وصفه المؤلف بأنه البيت الثاني ل(نظام) منذ دخوله الأول إلى البستان " نسي ما هو باحث عنه وهو يتأمل شجرة الجوز العبيّة والشمس تخترقها فتجعل أوراقها الخضراء شفافة غارقة في غبار الضوء الدقيق الذي يمد حبالا طويلة من نور في أرجاء البستان." (الدويهي، 2012، ص23)

كما يصف فرحه وسعادته في ذلك المكان " استقبله توما وهو يقشر له إجاصة من صنف مخ البغل ففاضت زومًا على وجهه وثيابه وراح يأكل ويضحك حتى أتى على ثلاث إجاصات كاد توما يجرح يده من فرط سرعته في تقشيرها له." (الدويهي، 2012، ص24)

لكنه في المقابل يكتفي بذكر بيت الميناء ذكرا، ولا يقدم له وصفا في صفحات الرواية إلا بعد وفاة والد (نظام) (محمود العلمي) " تغيرت المقاعد، ألوانها عابقة، لم يعرف كيف يرتاح فوقها. الستائر صارت داكنة أيضا." (الدويهي، 2012، ص200) صورة لا تبعث في النفس إلا الغم والهم.

ثم يعيش بين شقتين شقة أ(ولغا) وشقة (جنان)، شقة أولغا الواقعة في رأس بيروت تطل على البحر اهتم المؤلف بوصف موقعها المميز لأنه سيكون لها حضور أثناء حياة (نظام) في بيروت، فيظهر جمال موقعها وتميزه بإعجاب يسرى المكتبي" أعجبها البيت المطل على منارة بيروت المتوقفة عن العمل وعلى الجامعة الأمريكية" (الدويهي، 2012، ص 118)، لتصبح في البداية مقرا لخلية فرج الله الحلو " فتحولت شقة رأس بيروت إلى مقر اجتماعات لخلية فرج الله الحلو التابعة لمنظمة العمل الشيوعي في لبنان" (الدويهي، 2012، ص125)

وبعد اندلاع الحرب تحولت إلى ثكنة عسكرية " دخل عليهم أربعة رجال، هكذا لا شور ولا دستور. الأكبر سنا يضع مسدسا على خصره ويتكلم باسم الباقين، وآخر يحمل سلاحا في ثوب جلدي فهموا أنها بندقية. بمنظار، يمسك بها بيديه الاثنتين كحمل ثمين ائتمن عليه، وآخر مساعدا له، يحمل صندوقا يحتوي لا شك على الرصاصات القاتلة...فور دخولهم انشغل العناصر بالمهمة العسكرية التي جاؤوا من أجلها فكانوا يتلفتون ناحية الشرفة ولم يتأخر حامل البندقية. بمنظار في الخروج لاستكشافها فلحق به رفيقاه...عاد أحد المسلحين من الشرفة راضيا وأعلن أن الموقع مناسب لهم." (الدويهي، 2012، ص256-261)

أما شقة جنان الواقعة في شارع لبنان فيصف محترفها " واقفة وسط لوحات زيتية بدون إطار، قماش مشدود، رسوم مكتملة أو قيد الإنجاز موزعة في أرجاء القاعة معلقة، موضوعة أرضا أو مسندة إلى الجدار بعضها مرفوع على كراسي، متشابهة الألوان، كبيرة ومتوسطة الحجم...الصالة غارقة في ضوء النهار الغزير الذي يقتحمها من الفتحة الزجاجية العريضة. نباتات كبيرة واقفة صفا في أوعيتها الفخاري." (الدويهي، 2012، ص155) كما اهتم جبور الدويهي سابقا بوصف حورا ومنزل توما ورخيمة، اهتم بوصف محترف جنان أيضا، ففي هذا المكان وجد الحب والحياة والفرح من جديد.

- **المدرسة:**

عندما يأتي المؤلف على ذكر المدارس التي تعلم فيها (نظام)، فإنه يختار يوما داميا لذكر مدرسة طرابلس، يوم اندلاع تمرد مسلح في المدينة من قبل حركة (المعذبون في أرضنا الطيبة)، حيث الفوضى عمت الأرجاء وعمت المدرسة كذلك، وقد صادفت هذه اللحظة وصول (توما ورخيمة) إلى المدرسة " وصلا إلى المدرسة والإدارة لا تعرف كيف تتدبر سلامة التلامذة، فالشوارع غير آمنة لتسيير الحافلات وتسمع بوضوح بعض الانفجارات المتباعدة ومعها كل أنواع الأخبار المجنونة... طالب توما ورخيمة بنظام... وصل نظام ضاحكا عيناه تلمعان وقد بدا مسرورا بالفوضى التي دبت في الصفوف وفرطت عقدها." (الدويهي، 2012، ص36-37)

ويختار في وصف مدرسة (حورا) المسيحية وصفا يحفل بالرعاية والاهتمام فيصف حب المعلمات له والموظفات " أحبته المعلمات، لا يمر بجانب إحداهن إلا وتداعبه على رقبته أو تمرر يدها في شعره، موظفة الاستعلامات لا تفوت فرصة لتقبيله... حتى المديرة الأخت فرنسيسكا تمسكه طويلا بيديه إذا ما أعطت ملاحظة تخصه." (الدويهي، 2012، ص53)

واللقب الذي أحبه واختاره ليكون لقبا له مرة أخرى بين أفراد خلية فرج الله الحلو كان من معلمة في هذه المدرسة أطلقته عليه: " لقب نانو الذي أطلقته عليه إحدى المعلمات" (الدويهي، 2012، ص59)

- **أماكن العبادة:**

أما أماكن العبادة التي ارتادها عند المسلمين فقد توقف على ذكر (جامع البحر) الذي ارتاده وقتا قصيرا ثم شعر بالملل فانقطع عنه " وهو لم يجد تسلية عند عودته من المدرسة سوى دخوله مع رفاقه إلى جامع البحر حيث يجلسهم أحد المشايخ في حلقة حوله ليحفظوا القرآن، وقد راقت نظام المنافسة فواظب عليها وكان فور عودته إلى البيت يعيد على مسامع ميسلون ما حفظه حتى ضجر من تكرار الآيات دون أن يدرك معانيها. وقد سأل عنه لاحقا لم غاب." (الدويهي، 2012، ص43)

ولكنه يرتاد الكنيسة بصورة متكررة بصحبة رخيمة " في دخوله الثاني إلى الكنيسة، تآلف مع المكان فابتعد عنها ليدور وحده متأملا صور القديسين المحنيي الرؤوس ومراحل درب الصليب المحفورة في الخشب والمطلية بالذهب"(الدويهي، 2012، ص40)، ثم يقول أيضا " اعتاد على الكنيسة فصار يعرف متى يفترض بالمؤمنين الوقوف أو إحناء رؤوسهم إجلالا لاسم يسوع عند قراءة الإنجيل." (الدويهي، 2012، ص40)

ثانياً- بنية الزمن:

أما الزمن في الرواية فينقسم إلى نوعين زمن القصة وهو زمن الأحداث والوقائع مرتبة ومتتالية وفق شكلها المنطقي لا كما يراها السارد" فهو يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث" (لحميداني، 1991، ص73)، وقد امتدت أحداث الرواية خلال ثلاث وعشرين سنة منذ ولادة (نظام) إلى وفاته حيث توفي في الثالث والعشرين من العمر. (الدويهي، 2012، ص324)

وزمن الخطاب يأتي في مقابل زمن القصة، وهو الزمن الذي لا يمكن أن يكون ترتيبه ترتيبا مثاليا متسلسلا، إذ يصبح للروائي أحقية التلاعب بالزمن مباشرة عند ولوجه للعالم المتخيل ليخلق عالمه الخاص، المختلف عن الواقع بطابعه الفني الذي يوحي بالجمالية الكامنة خلف النص المسرود من خلال التلاعب بالأزمنة. إذ إن" اللعب بالأزمنة داخل القصة عمل جمالي بحت لا يؤثر على الأحداث من حيث الماهية والجوهر، وإنما من حيث الصياغة والترتيب" (سلمان، 2002، ص261)

ومن هذا الاختلاف الناشئ بين زمن القصة وزمن الحكاية (الخطاب) تتولد المفارقة الزمنية، التي يعرفها (جيرار جينيت) بأنها" دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، عبر مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي، بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة" (جينيت، 1997، ص47)، وهذه المفارقة هي التي تولد الانحراف في زمن السرد، بحيث يتوقف السارد في سرده، إما للعودة إلى الماضي بتقنية الاسترجاع أو القفز إلى المستقبل بتقنية الاستباق.

ومن الاسترجاعات الواردة في (شريد المنازل) استرجاع قصة تسمية (ميسلون ونظام)، ففي الصفحات الأولى عرّفنا السارد على (نظام وميسلون) أثناء انتقالهما مع ذويهما إلى حورا، ثم يسترجع قصة اختيار الأسماء قبل ولادتهما. (الدويهي، 2012، ص19)

واسترجاع (نظام) قصته أمام رفاقه في خلية فرج الله الحلو " ابتسم بمكر وأخبرهم أنه ولد في طرابلس قبالة المرفأ وتعلم حروف الأبجدية العربية والفرنسية بفضل قراءة أسماء السفن التي تقترب للرسو... يوصلهم إلى حورا وكيف عاش مع عائلة مسيحية في الجبل لأن والده دخل السجن بتهمة التحضير لانقلاب عسكري وانتقل إلى مدينة حمص في سوريا فمطوا شفاههم غير مقتنعين. حفظ القرآن عن ظهر قلب في مسجد يدعى جامع البحر... يقسم إنه تعمد مسيحيا في يوم ماطر وأصيب على أثرها وبسبب المزيد من الماء الذي سكبه الكاهن على رأسه برشح طويل دام أكثر من أسبوع" (الدويهي، 2012، ص133-137)

كما استرجع (نظام وميسلون) بعض الأحداث أثناء لقائهما؛ فهما لم يلتقيا منذ زمن" روت له كيف تزوجت، يؤجلان إنجاب الأولاد قليلا بانتظار الانتقال إلى شقة أوسع... أخبرها كيف ذهب إلى جنازة والده محمود لكنه لم يدخل إلى البيت ولم يقترب من الجامع. أخبرته أنها تشاجرت مع شقيقها بسبب إغفال اسمه في النعوة...ضحكت وهي تتذكر كيف نزعت رأس نظام من صور العائلة، لم تفعل ذلك كرها به بل تسهيلا لأمر تحرره من آل العلمي." (الدويهي، 2012، ص148)

ثم يسترجع (نظام) قصته بالتفصيل من جديد كيف تعمد وكيف عاش مع عائلة مسيحية ودرس في مدرسة مسيحية، بعد اندلاع الحرب عندما أوقفهم أحد المسلحين المسيحين وأوشك أن يقتله (الدويهي، 2012، ص229). إن الاسترجاعات في الرواية تدور حول قصة (نظام) المسلم المسيحي، إشارة إلى أهمية الحدث وأثره في رواية الحرب.

أما الاستباقات فقد وردت مرة على لسان (ميسلون): " سيأخذون نظام" (الدويهي، 2012، ص31)، وما ورد على لسان (أولغا) قبل اندلاع الحرب: "لن يتركوكم بسلام" (الدويهي، 2012، ص 107)، وقولها: " سيحرقون بيروت قريبا، أرسلوا إليكم الفدائيين والآن جاؤوا يقتلونهم." (الدويهي، 2012، ص 109) استباقات وظفها للإشارة إلى اندلاع حرب قريبة، لما تشهده البلاد.

- **بنية الراوي:**

"هو وسيلة أو أداة تقنية يستخدمها الكاتب ليكشف بها عالم قَصِّه أو ليبث القصة التي يروي" (العيد، 1999، ص89) أو هو " دور مبتكر ومتبنى من طرف المؤلف" (بارت وآخرون، 1992، ص113) فالراوي -حسب هذا المفهوم-يختلف عن الروائي (المؤلف) ذلك أن المؤلف هو الخالق الأسطوري للعالم الذي يبدعه ويخلقه (بارت و

آخرون، 1992، ص113) وهو الذي يختار تقنية الراوي كما اختار الأحداث والشخصيات الروائية والبدايات والنهايات. (يوسف، 1997، ص29)

- أنواع الرواة:(يقطين، 1997، ص384-388)

يمكن رسم صورة الراوي من خلال ما يتركه من بصمات في الخطاب الروائي، ومن هذه البصمات درجة علمه بما يروي، وتشكيله الخاص للغة، وما يلجأ إليه من طرائق لاستعادة أقوال الشخصيات. وبناء على ذلك نبين أهم أنواع الرواة.

أولاً- الراوي العليم بكل شيء، أو كلي المعرفة:

وفيه يكون الراوي على علم بكل شيء في عالم الرواية فهو "شخصية ظل فني للكاتب. والكاتب هو الذي يخلقها إذ يخلق أدوات سرده، أو يتملك تقنيات السرد ويمارسها معيدا إنتاجها ومبدعا لها" (العيد، 1986، ص96)، "وهو القوة الخارقة التي تكشف أمامها الحجب، يرى ما تكنه الصدور، وما لم تنطقه الألسنة" (الكردي، 2006، ص83)، أو هو شبيه بالإله (أو الآلهة) العالم(ين) بكل شيء والحاضر(ين) في كل مكان" (بارت وآخرون، 1992، ص117) لذلك يهيمن على عالم روايته، فيتدخل بالتعليق والوصف منحازا إلى صف أبطال روايته، " لكنه في انحيازه، مكشوف أحيانا. وخفي أحيانا أخرى. مكشوف، لا قصدا، بل لأنه ضعيف فنيا، غير متملك لتقنيات السرد الفني... وخفي بفضل تطور القص بحيث أصبح الكاتب قادرا على بناء عالم تخيلي قصصي غني وواسع معقد" (العيد، 1986، ص83)، ويمكن أن نقيس درجة علم هذا الراوي عن طريق المسافة[2] بينه وبين الشخصيات، فكلما ابتعد الراوي عن الشخصيات واقترب من المؤلف فإنه يتمكن من المعرفة الواسعة بكل الخبايا التي كانت خافية. (الكردي، 2006، ص83) إنه يستطيع أن يصل إلى كل المشاهد عبر جدران المنازل، كما أنه يستطيع أن يدرك ما يدور بخلد الأبطال ورغباتهم الخفية. (لحميداني، 1991، ص7)

ثانياً- الراوي الذي لا يعلم إلا ما تعلمه الشخصيات أو الراوي (الشاهد):

"هو راوي[3] حاضر لكنه لا يتدخل، لا يحلل، إنه يروي عن خارج، من مسافة بينه وبين ما، أو من، يروي عنه. مثل هذا الرواي هو بمثابة العين التي تكتفي بنقل المرئي في حدود ما يسمح لها النظر، وبمثابة الأذن التي تكتفي أيضا بنقل المسموع في حدود ما يسمح به السمع، وظيفة هذا الرواي هي التسجيل. أي أنه يميل إلى أن تكون وظيفته أقرب إلى وظيفة الآلة." (العيد، 1999، ص98).

ثالثاً- الراوي الذي يعلم أقل مما تعلمه الشخصيات

"سواء أكان هذا الراوي واحدا من الأشخاص الذين يحتويهم عالم الرواية، فاعلين فيه أو مشاهدين له، أم كان مستقلا عن الشخصيات، متخذا لنفسه مستوى زمانيا أو مكانيا أو أيديولوجيا خاصا، وسواء أكان هذا النوع الثاني مصورا لحركة الأحداث أو للصفات تصويرا مباشرا أم متخذا له عاكسا أو عواكس داخل الرواية. أيا كان الأمر فإن كل هذه الأنواع تتفق في أن رؤية الراوي أقل من رؤية الشخصيات إدراكا ومعرفة وفهما"(الكردي، 2006، ص128).

(2) نعتمد على الزمان والمكان بوصفهما أداتين لقياس المسافة التي تفصل بين موقع الراوي ومواقع الشخصيات في القصة.

(3) ورد في المصدر راوي والصحيح راو وليس راوي.

وفي قلب الفوضى التي عجت في الرواية، بتعدد الأديان والأجناس، وانتشار الفساد والقتل والدمار، واندلاع الحرب الأهلية في لبنان، اختار المؤلف أن يخفف من وطأة الفوضى، فلم يترك المجال الفسيح للشخصيات أن تتكلم إلا في مواقف قليلة، ليكون السرد على لسان الراوي الذي يعلم ما يدور في خلد الشخصيات ويتكلم بلسانها ومن ذلك " توالت الأيام رتيبة بعد أن صار عمل توما في البستان افتراء على الحقل والزرع مع حلول البرد وظهور أول قشرة ثلج على أعلى سفوح جبل المكمل. استعادا بعضا من حيويتهما، لم يبوحا عاليا باشتياقهما إلى (نظام)، يحتفظ كلاهما لنفسه بشعور الفراغ "(الدويهي، 2012، ص33).

ومع ذلك نجده يظهر في بعض الأحيان أنه جزئي المعرفة، فيستخدم الألفاظ الدالة على ذلك ومنها قوله (يقال) في سبب اختفاء يسرى" ويقال إنها تزوجت بشاب ثري سافر بها إلى كندا وأصرت عند إنجابها صبيا على تسميته (نظام)." (الدويهي، 2012، ص 239)، واستخدامه (ربما) في أكثر من موقع في الرواية ومنها" لم يفهم الشيطان قصده وربما (نظام) لم يقصد شيئا." (الدويهي، 2012، ص249)

ويظهر ذلك جليا في نهاية الرواية التي تركها مفتوحة للقارئ فهو لا يعلم أين دفن (نظام) "قيل إن شقيقته جاءت به إليهما كي يلقيا عليه نظرة الوداع قبل دفنه وإنه كان مكفنا من رأسه إلى قدميه على طريقة المسلمين، وإن عمتيه أصرتا على دفنه مع عائلته في المقبرة في طرابلس... يؤكد آخرون، وهم الأرجح على حق، أنهما دفناه هنا في البستان، وأن توما حفر له بيديه." (الدويهي، 2012، ص344)

مناقشة النتائج:

حاولت هذه الدراسة الوقوف على صورة الحرب في لبنان من خلال رواية (شريد المنازل) لجبور الدويهي، مبرزة مدى الانسجام بين الجانب الفني للرواية متمثلا بتقنيات السرد المختلفة والجانب الموضوعي، وقد خلصت إلى النتائج الآتية:

- قدم المؤلف صورة واقعية حية للبنان عشية الحرب وبين الأسباب التي أدت إلى اندلاع شرارة الحرب الأولى فقد صور:

1- التعايش بين الطوائف والأديان المتعددة في البلاد، الذي يبدو قلقا وغير مستقر.
2- الفقر والفساد المتمثل في انتشار السرقات، والتسول، والقمار، والأحزاب المختلفة، والقتل لأسباب ثورية وثأرية، والظلم الذي يقع على طبقة العاملين الكادحين، وانتشار تجارة الحشيش.
3- النشاط الثوري الفلسطيني.
4- الحرب مع اليهود.

- رصد المؤلف صورة الحرب في لبنان موضحا ما آلت إليه من دمار وخراب ويتبين ذلك من خلال وصف:

1- الشرارة الأولى للحرب الأهلية التي تمثلت في حادثة عين الرمانة.
2- المجازر والقتل الطائفي حيث بدأ سؤال الهوية يطرح نفسه على أرض الواقع، ويقتل من يقتل بناء على ديانته.
3- استباحة البيوت والأعراض.
4- أثر الحرب النفسي الذي تمثل بالخوف والقلق والاضطراب، والضيق والضجر، والهجرة فرارا من الحرب.

- ظهر الانسجام بين البناء الفني والبناء الموضوعي جليا في الرواية، فقد استطاع المؤلف توظيف معظم تقنيات الرواية، مشيدا عالما بصلصال خاص، يشكل معادلا موضوعيا لما هو مرجعي في تلك الحقبة الزمنية، فشكلت بيروت مسرح الأحداث الأساسية، تخترقه شخصيات ورقية استطاع الكاتب أن يجعلها على صلة قوية بما هو

واقعي وحقيقي، إضافة إلى اللعبة الزمنية المتمثلة بالاسترجاع والاستباق، كل ذلك جاء على يد راو عليم قل فيه الحوار بين الشخصيات.

- ظهر المؤلف منحازا للمسيحية على حساب الإسلام وذلك من خلال:

1- وصفه للأسرة المسيحية من بداية الرواية وذلك من خلال تصوير شخصياتها وأماكنها المختارة المتمثلة بالمدرسة والكنيسة والمنزل، وصفا جذابا ومتميزا ومرغوبا، في مقابل الأسرة المسلمة التي مثل الفساد بأحد شخصياتها واتهمهم بالتخلي عن ابنهم لمشاكل واجهتهم، ومن خلال تصوير الأماكن الخاصة بهم كالمدرسة التي صورها في يوم تمرد مسلح، والمسجد الذي بعث الملل في نفس الطفل (نظام).

2- ينجو (نظام) من القتل على يد المسيحيين ويقتل على يد المسلمين.

التوصيات والمقترحات.

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها توصي الباحثة وتقترح ما يلي:

1- التوجه الى دراسة الانسجام والتوافق بين تقنيات السرد والفكرة أو الموضوع الذي يقدمه هذا السرد.

2- التوجه إلى دراسة الصور التي تعكسها الروايات عن المجتمعات المختلفة سواء في حالة الحرب أم في حالة السلم فهي تعكس حياة مجتمعات كاملة بعاداتها وتقاليدها وسلوكياتها ومعتقداتها المختلفة.

قائمة المراجع.

أولاً- المراجع بالعربية:

- آبادي، محبوبة محمدي: **جماليات المكان في قصص سعيد حورانية**، دمشق- الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011.
- بحراوي، حسن: **بنية الشكل الروائي**-الفضاء، الزمن، الشخصية، بيروت-المركز الثقافي العربي، 1990.
- البنا، بان: **الفواعل السردية، دراسة في الرواية الإسلامية المعاصرة**، ط1، الأردن – عالم الكتب الحديث، 2009.
- بوعزة، محمد: **تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم**، ط1، بيروت-الدار العربية للعلوم، 2010.
- الجبوري، عبد الكريم: الإبداع في الكتابة والرواية، ط1، دمشق - دار الطليعة الجديدة، 2003.
- جرييه، الان روب: **نحو رواية جديدة**، تر: مصطفى إبراهيم، مصر-دار المعارف، 1998.
- الجمالي، سناء طاهر: **صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ**، الأردن – كنوز المعرفة، 2011
- حمداوي، جميل: **السيمولوجيا بين النظرية والتطبيق**، عمان- مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع، 2011.
- خمار، عبد الله: **تقنيات الدراسة في الرواية " الشخصية "**، الجزائر – دار الكتاب العربي، 1999.
- الدويهي، جبور: **شريد المنازل**، لبنان، بيروت- دار الساقي، ط2، 2012.
- رياض، سعد: **الشخصية، أنواعها وأمراضها وفن التعامل معها**، ط1، القاهرة - مؤسسة اقرأ، 2005.
- زعرب، صبحية عودة، **غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي**، عمان: دار مجلاوي، 2006.
- زيتوني، لطيف: **معجم مصطلحات نقد الرواية**، لبنان – دار النهار للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

- السعدون، نبهان حسون: **الشخصية المحورية في رواية "عمارة يعقوبيان** -دراسة تحليلية، جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 13، ع 1، 2014.
- سلام، محمد زغلول: **دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها، اتجاهاتها، أعلامها**، مصر – دار المعارف، 1973.
- سلمان، كاصد: **الموضوع والسرد**- بنيوية في الأدب القصصي، اربد-دار الكندي، 2002.
- شريبط، أحمد شريبط: **تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة**، دمشق- منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997.
- شعبان، هيام: **السرد الروائي في أعمال براهيم نصر الله**، الأردن – دار الكندي، 2004.
- شعث، أحمد: **بناء الشخصية في رواية "الحواف" لعزت العداوي**، مجلة جامعة الخليلي للبحوث، مج 5، 2010.
- عاشور، عمر: **البنية السردية عند الطيب صالح - البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال**، الجزائر-دار هومة، 2010.
- عدوان، عدوان **المكان في الرواية الفلسطينية بعد أوسلو**، 1993، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، الجامعة الأردنية، 2005.
- عدوان، عدوان: **تقنيات النص السردي في أعمال جبرا إبراهيم جبرا**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، 2001.
- العيد، يمنى: **الراوي الموقع والشكل**، بحث في السرد الروائي، بيروت-مؤسسة الأبحاث العربية، 1986م.
- العيد، يمنى: **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، بيروت-دار الفارابي، ط2، 1999.
- فتاح، علي عبد الرحمن: **تقنيات بناء الشخصية في رواية (ثرثرة فوق النيل)**، مجلة الآداب، جامعة بغداد، ع 102، 2012.
- فتحي، إبراهيم: **معجم المصطلحات الأدبية**، تونس- المؤسسة العربية للناشرين، 1986.
- الفيصل، سمر روحي: **الرواية العربية البناء والرؤيا- مقاربات نقدية**، دمشق-منشورات اتحاد كتاب العرب، 2003م.
- الكردي، عبد الرحيم: **الراوي والنص القصصي**، القاهرة-مكتبة الآداب، ط1، 2006م.
- الكردي، عبد الرحيم: **السرد في الرواية العربية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجا)**، القاهرة-مكتبة الآداب، ط1، 2006.
- لحميداني، حميد: بنية النص السردي، بيروت-المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991.
- الماضي، شكري: الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين، ط1، عمان – دار الشرق للنشر والتوزيع، 2003.
- مرتاض، عبد الملك: **في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد**، الكويت-عالم المعرفة، 1998.
- مرشد، أحمد: **البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**، ط1، بيروت، لبنان – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005.
- الموسى، خليل: **التحولات النفسية والذهنية في الشخصية الروائية**، مجلة المعرفة، ع 395، 1996.
- النابلسي، شاكر: **جماليات المكان في الرواية العربية**، ط1، عمان –دار الفارس للنشر والتوزيع، 1994.

- النعيمي، أحمد حمد: **إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة**، لبنان- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن-دار فارس للنشر والتوزيع، 2004.
- يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي- الزمن، السرد، التبئير، ط3، بيروت-المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.
- يوسف، آمنة: **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**، سوريا-دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1997.

ثانياً - المراجع المترجمة:

- بارت، رولان وآخرون: **طرائق تحليل السرد الأدبي**، تر: عبد القادر عقار وآخرون، الرباط- منشورات اتحاد كتاب المغرب، 1992.
- جينيت، جيرار: خطاب الحكاية-بحث في المنهج، تر محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، ط2، 1997.
- فرويد، سيموند: الحب والحرب والحضارة والموت، تر: عبد المنعم الحنفي، القاهرة- مكتبة مدبولي، ط2، 1977.
- ولسن، كولن: فن الرواية، تر: محمد درويش، العراق- دار المأمون للترجمة والنشر، 1986.